

دراسات محكمة

الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن
"جائحة كورونا"
بمناطق الصحراء جنوب المغرب

حمادي شربار

باحث في علم الاجتماع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس-المغرب

08 مارس 2022



ملخص:

أظهرت جائحة كورونا تأثير البعد السوسولوجي والانثروبولوجي على مجتمع الصحراء جنوب المغرب، وبالتحديد في الجهات الجنوبية الثلاث، فمنذ بداية ظهور الجائحة بالمغرب يستكشف عمق تأثير هذه الظاهرة والعلل التي يعاني منها المجتمع بمناطق الصحراء جنوب المغرب، وتبين ضرورة الاهتمام بالأبعاد الثقافية والانثروبولوجية للمنطقة، وتكشف عن قدرة الفرد على تفسير الظواهر الاجتماعية بطريقة فكاهية، في ظل زمن يتسم بالضغط النفسي والاجتماعي، وقد إستفحل هذا الضغط في زمن الحجر الصحي، من خلال مجموعة من الممارسات التي يقوم بها الأفراد التي تبين سخريتهم من الواقع الذي يعيشونه، ففي غياب القدرة على تغيير الواقع الاجتماعي، يقوم المجتمع بالسخرية على مجموعة من السلوكيات التي تظهر عمق الأزمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بالمغرب.

Abstract :

The Corona pandemic demonstrated the influence of the anthropological and sociological dimension on the Saharan society, and specifically in the three southern regions of southern Morocco. Since the beginning of the emergence of the pandemic in Morocco, the depth of the influence of this phenomenon and the manifestations of imbalances that the society in this area suffers from have been revealed, and It clarifies the necessity to pay attention to its cultural and anthropological dimensions, and it unveils of the individual's ability to interpret social phenomena in a humorous way, in a time that characterized by psychological and social distress. This pressure has exacerbated through a set of practices carried out by individuals that show their mockery to Reality in which they live at the time of a state health emergency. In the absence of the ability to change the social reality, society mocks on a set of men's behaviours that show the complexity of the social, political and economic crisis in Morocco Saharan regions.



يظهر دور الباحث السوسيولوجي من خلال مواكبته لظواهر الاجتماعية التي يعرفها المجتمع وبتحديد في أوقات الأزمات الاجتماعية، ويشكل زمن كورونا تحول اجتماعي قليل الحدوث، فمنذ ظهور الوباء في وهان وصوله إل المغرب في مارس وقعت مجموعة من الاحداث أثرت على المجتمع، بسبب القرار الصحي الذي فرضته السلطات المركزية للحد من تفشي الجائحة، هذه الإجراءات الوقائية التي فرضت على المجتمع خلقت مجموعة من الردود المتباينة حول التدابير الإحترازية من خلال ظهور مجموعة من الممارسات الفردية والجماعية التي تبين رد فعل المجتمع على هذا الوضع الطارئ، الذي وضع أفراد المجتمع في حجر منزلي قهري قيد حرية المجتمع، نتج عنه مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تهدف إلى تفسير الحالة الوبائية بالمغرب، منها السخرية على الوضع الوبائي من خلال العديد من النكت والفيديوهات التي كانت تصور الحالة النفسية الاجتماعية للمجتمع.

- فماهي الدلالات الاجتماعية والانثروبولوجية والثقافية للنكت الشعبية بالمغرب وبجنوب المغرب بالتحديد؟
 - ما علاقة النكت الشعبية بالثقافة الحسانية؟
 - ماهي المجالات التي حاولت النكت الشعبية ملامستها وتفسيرها؟
- من هذا الاشكالية يمكن التنبؤ بأن السخرية في زمن كورونا، ستظهر مجموعة من القيم والاتجاهات بالمجتمع بالإضافة إلى العديد من الرغبات التي يريد الأفراد تحقيقها.



الدلالة الاجتماعية "للنكته الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

تقديم حول وباء كورونا

لم يسلم من وباء كورونا (épidémie de Corona) الذي انتشر كالنار في الهشيم أي مكان في العالم، مستفيداً من كونه أصبح عبارة عن قرية واحدة صغيرة. فإذا كانت الشبكات العنكبوتية شكلت أرضية خصبة للتنوع والاختلاف، وجعلت الأفراد ينتقلون من مكان وزمن إلى آخر بدون إكراهات نفسية واجتماعية في هذا العالم اللامحدود، وحتى انتقال الأفراد من مكان إلى آخر ومن قارة إلى أخرى صار سهلاً بفعل تقدم وسائل المواصلات، مما جعل انتشار المعلومة مماثل لانتقال الإنسان في العالم، هذه العوامل سهلت للفيروس امتلاك كل وسائل الانتشار والظهور في المكان والزمان الذي لا يمكن التنبؤ به، إن كوفيد 19 أصبح يشغل البشرية بكل فئاتها، ويهدد وجودها في وقت جرى الاعتقاد أنه بالمقدور الحفاظ على الحياة البشرية بفعل التطور التكنولوجي والتقني والطبي الذي وصلت إليه.

1- تأثير وباء كورونا على المجتمع: لم تتوقف الصدمة التي خلفها وباء كورونا في العلوم الدقيقة والبيولوجيا، بل وصلت تداعياتها إلى العلوم الإنسانية وبالتحديد علمي السوسولوجيا والسيكولوجيا، من خلال تأثير هذا الوباء على العديد من السلوكات والأفعال الاجتماعية والنفسية، التي إكتسبها الفرد بفعل التنشئة الاجتماعية والثقافية والتدين والعادات والتقاليد، حتى أضحت ممارسات تبين مدى إندماج الفرد في المجتمع، فهي عبارة عن أفعال إرادية، تتميز بأنها تحدد درجة إنخراط الفرد في الجماعة، وهذه الرابطة بين الأفراد تعمقها رابطة الدم، المجال، الدين، اللغة،... إلخ. إن تأثير وباء كورونا على المجتمع، وبالتحديد على مستوى العلاقات الاجتماعية يكاد يقاس بدرجة تأثيرها على صحة الفرد، وهنا كان لابد من القيام بدراسات سوسولوجية يتوخى من وراءها تفسير التغيير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع من جوانب متعددة، وهذه الدراسة تتطلب منهج سوسولوجي علمي يعطي تصور لأفعال ولسلوك الفرد في زمن الجائحة، وتسليط الضوء على العلاقات الاجتماعية خلال جائحة كورونا، حيث لوحظ تغيرات عديدة على السلوك الفردي والاجتماعي، بفعل التغيير الاجتماعي الذي صاحب مراحل انتشار الوباء، ويرتبط أساساً بالتدابير الاحترازية التي تقوم بها الدول والمؤسسات والمجتمع والأفراد من أجل التصدي للوباء، وهذه الضوابط الوقائية هي عبارة عن أساليب ووسائل وتقنيات ونصائح غير مألوفة في الحياة اليومية من سمتها أنها تحد من التقارب الاجتماعي (Proximité Sociale) وحميمية الحياة اليومية.

أ- تداعيات الجائحة على العلاقات الاجتماعية: يعتبر تحدي الذي يفرضه وباء كورونا هو التباعد الاجتماعي (éloignement social)، الذي يؤكد الخبراء أنه الحل الأسرع لاحتواء وباء كورونا عبر التقليل من عدد الإصابات وسرعة انتشار الوباء، "وفي دراسة أجريت بجامعة إمبريال كوليج في لندن، قال الباحثون إن التصرف المبكر والصارم للحكومات يمكنه أن يقلص الوفيات بالفيروس بنحو 95%"¹، وهذا يتطلب التباعد الاجتماعي "ويعني هذا المصطلح الجديد ألا يقترب الناس من

¹ مقال لقناة الجزيرة تحت عنوان: التباعد الاجتماعي... ماذا تعرف عن مصطلح الذي يفرضه كورونا؟ بتاريخ: 2020/05/31 على الساعة: 13:53.

<https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/28/>.



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

بعضهم مسافة متر ونصف المتر كما يقول بعض الأطباء، أو مسافة ثلاثة أمتار كما طبقت سويسرا بالقلم والمسطرة، إلى درجة إدخال من يتعدى على المسافة المسموح بها إلى السجن لمدة تصل من 24 إلى 72 ساعة².

فرض التباعد الاجتماعي على أفراد المجتمع مجموعة من السلوكيات والتصرفات العفوية والإرادية، وتتميز هذا التدابير الاحترازية بأنها تدعو إلى التخفيف من كل نشاطات يمكن أن يؤدي إلى التقارب الاجتماعي، وأدت هذه الممارسات إلى خلق توتر في العلاقات الاجتماعية والتي لا يمكن استمرارها بدون هذه الصلات، والتي تعد مقياسا لقوة العلاقات بين الأفراد، لكن يبقى أن هذه الممارسات لا تتناسب والتباعد الاجتماعي والذي يعني في جوهره التباعد الجسدي، فجميع نشرات منظمة الصحة العالمية (OMS)، تدعو إلى التباعد الجسدي وإحترام قواعد النظافة، من خلال "غسل اليدين بالصابون أو المحلول الكحولي، والإبتعاد عن العناق والمصافحة، والبقاء في المنزل أكثر وقت ممكن مع الذهاب إلى محل البقالة مرة واحدة في الأسبوع، واستخدام وسائل النقل العام في ساعة الذروة الخارجية، وعقد إجتماعات افتراضية، وتنظيم جلسات اللعب الافتراضية لأطفالك، وإبقاء استخدام وسائل التكنولوجيا من أجل التواصل مع الأصدقاء والأسرة"³.

ب- نموذج لقصيدة حسانية تحث على التدبير الوقائية: ولقد تفاعل الشاعر الحساني مع هذه الوصايا

في قصيدة متداولة في فيديو:

غير ملي هذا كويد عدل فينا ياسر مُفيد

نبدأ بنظافة ونزيد الناس نذكر ميزات

عاد الناس في حسن الترشييد ورجع الانسان لعدائ

الانضباط وحسن تشديد والراجل هو ومراة في الكوزينة

واليد في اليد وطفيل إشوف أدوات والتعقيم على كل بليد

والصابون على أشكالُ وطهارة ولباس جديد كل نهار بعبياءُ

سابق ذلك البو كان بعيد وعيال مدة مارات وولادُ كيف نهار العيد

ومش لكير لجداة قالها في ودنها سعيد قالت مالك وذحات

قالها ماشت كوفيد خلات العالم ودرات والعزل الصحي لا محيد عنو

به ايجابيات هذا هو بيت القصيد كلها يكعد في ديرات

ت- أثر الجائحة على مجتمع الصحراء: ساهمت طبيعة مجتمع الصحراء جنوب المغرب إلى بناء سمة

مميزة للعلاقات الاجتماعية من مظاهرها ارتفاع منسوب الدفق العائلي وتطور مشاعر المحبة والود

والتأخي، وهي العوامل التي كانت إلى وقت قريب لا بد منها كما يبين ذلك حاجة الأفراد إليها من أجل

² مقال لقناة العربية تحت عنوان: التباعد الاجتماعي مع كورونا، بتاريخ: 2020/05/31 على الساعة 15:36، html.ar/saudi-today/views/2020/0317

³ Annonce nouvelle, sous-titre: Éloignement Physique, social-distancing-fra.pdf 02/06/2020.

الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

الإحساس بدرجة معينة من الأمان والطمأنينة والانتماء للمجتمع "فالإنسان اجتماعي بطبعه" حسب ابن خلدون في مقدمته، لكن مع سرعة انتشار الوباء الفتاك، أضحى هذا النمط من السلوك مستحيلاً وغير مقبول، لأن هذه الأفعال صارت هي المصدر الرئيسي لانتشار الفيروس، لذا وجب على الأفراد الالتزام بالتباعد الجسدي الذي لا يعني الإنقطاع والإمتناع عن التواصل، بقدر ما يحيل على ضرورة الحفاظ على جوهر العلاقات الاجتماعية واستمرارها.

التحام الوباء بالمجتمع عائد إلى حيوية الفيروس في الفتك بالأفراد، في مقابل استطاعة كل فرد القيام بالإجراءات المناسبة التي تحفظ سلامته وتحد من انتشار الوباء في محيطه، ولقد أدى هذا إلى خلق توتر لدى جميع مكونات المجتمع، كما ولد مجموعة من ردود الفعل الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي هي في الغالب ما تكون حاملة للسخرية والضحك من الوباء العالمي كورونا، وكذلك على مظاهر التغيرات الاجتماعية التي أحدثها الوباء، والتي كما أسلفنا لها أبعاد سوسولوجية وأنتروبولوجية وسيكولوجية على المجتمع بالصحراء جنوب المغرب، لذلك سنحاول تسليط الضوء على هذا القلب الفكاهي الذي خلقه "زمن كورونا"، حيث «يستغل جميع قدراته وطاقاته إلى أقصى حد ممكن، كما يكن قادراً على مواجهة مختلف المتطلبات الحياتية والمواقف والمشكلات التي تواجهه في حياته»،⁴ من خلال تصريف الأزمة في قوالب مختلفة كلها تحمل معاني متعددة.

1- النكت الشعبية ودلالاتها بالصحراء

أ- الدلالات السياسية والاقتصادية: منذ تسجيل أول حالة لفيروس كورونا بالمغرب في 2 مارس 2020، ظهرت العديد من المنشورات الساخرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في المناطق الجنوبية للمغرب، وهذا الفعل يمكن قراءته حسب زمان وظروف فعل السخرية، "كل تنكيت -ولو كان بسيطاً- يعتبر، وكل لغة فإنها تبطن إفصاحاً عن موقف إزاء ظاهرة أو واقعة اجتماعية"⁵، وهنا نستدل على نكتة انتشرت بين أفراد المجتمع في بداية ظهور هذه الجائحة، وتقول "كالت لجدا تي كورونا دخلت المغرب، كالت لي ذرك يكسموها ألا بيناتهم وما يلحگنا منها شي مع ذو كروش لحرام"، والتي تعني أن "كورونا دخلت المغرب غير أنه سيتم تقسيمها بين المنتفعين ولن يصل منها شيئاً للآخرين"، وهذه النكتة يمكن أن تفسر وفق العديد من القوالب الفنية التي تدل على التاريخ والصراع السياسي للحصول على المنافع بين جهات المملكة. يبدأ الخطاب بين الجدة وحفيدها، وهنا نتحدث عن ثلاثة أجيال في الصحراء جنوب المغرب، يتصف الجيل الأول بالأمية عكس الجيل الثاني والجيل الثالث وكل واحد منهما حامل لذهنية اجتماعية مختلفة.

يجمع العديد من فئات المجتمع بالصحراء أنهم لا يستفدون من ثروات المغرب، مما أدى إلى تعميق الفوارق الاجتماعية وبالتحديد بين جهات المملكة، وسمة النكتة أنها لا تتعارض مع المواقف التي يؤمن بها المجتمع، وهذا ما

⁴ بحري صابر، "إدارة أزمة COVID-19 من خلال تعزيز الصحة النفسية في ظل الحجر الصحي المنزلي"، في: مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 13 (مارس 2020)، ألمانيا-برلين، ص 11.

⁵ شقير محمد، (2009)، السخرية في السلطة من المؤسسة إلى لتجريم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص. 226.

الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا"

بمناطق الصحراء جنوب المغرب

تبينه هذه النكتة التي لها دلالات اجتماعية وثقافية، تدل على أن الجهات الجنوبية لا تستفيد من المشاريع التنموية التي تحضى بها الجهات الأخرى، إن النكتة تعكس جانباً من الثقافة السائدة حول بعض القيم والأفكار التي يتبناها المجتمع، فإذا كانت كورونا من الأوبئة الفتاكة التي خلفت الكثير من الضحايا والمآسي والآلام، فإن النكتة بطريقة تركيبها تدل أن المجتمع لا يثق في ما يروى عنها، والمقصود هنا هو نصيب الجنوب من كل ما يأتي من الشمال وللشمال، فالمهم دائماً هو التقسيم العادل لكل شئ حتى ولو كان عبارة عن مصائب أو كوارث.

تظهر النكتة التصور العام لعلاقة الشمال بالجنوب، والأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تتصف بها هذه العلاقة، والتي تقوم بفهم «السلوك الاجتماعي المنظم الذي تحدده القوانين والعادات والقيم الاجتماعية»،⁶ فهذه النكتة تعبير عن تصور عام لطبيعة العلاقة بين جهات المملكة وأزمة الثقة التي تسود هذه العلاقة، والتي تبلور وتبين تاريخ وامتداد لهذه الأزمة، فهي مازالت مستمرة بين أجيال المناطق الجنوبية، وتكاد تصبح ثابتة في مخيلة وذهنية تفكير الأفراد، حول طريقة تقسيم موارد الدولة والعلاقة التي تجمعهم بها، وهذه النكتة تبين أن الدولة تتعامل بتمييز بين أفرادها، فهناك من هم من الدرجة الأول، وهناك من هم من الدرجة الثانية.

إن النكتة الشعبية "ظهرت في الأوساط الشعبية كحتمية مفروضة على الأفراد، فقد ظهرت كبديل يكشف أوجه التعسف والقمع وعدم احترام الأعراف والتقاليد ومحاولة ضرب كل من له يد في هذه العوامل الجائرة، قصد المحافظة على البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية"⁷، وهذا ما تحاول هذه النكتة ممارسته من خلال الخوض في مجموعة من التمثيلات الاجتماعية حول علاقة المناطق الجنوبية بالشمال والدولة، بأسلوب فكاهي يظهر مزاج الطبقات الشعبية وموافقها حول السياسات العامة.

ب- دلالات النكتة الشعبية الاجتماعية والانتروبولوجية: تولى النكتة بالمناطق الجنوبية تقدير خاص لكبار السن، كما تظهر قدرتهم على التعبير عن رؤى ومشاعر المجتمع بطريقة بسيطة وبلغة عامية تفهمها كل الطبقات الاجتماعية، ويصبح للنكتة تأثير في المجتمع عندما تلامس طبيعة السلوك الاجتماعي، وهنا نذكر النكتة التالية: "خَالِكُ طفل ألا دافع ما كط غعد فدار أهلو، ساعة تام ألا دافع وأخف من الجراد ومنين خلك الحظر، عاد ألا كاعد في دار أهلو.. وسلط عليه مولانا جداتو ألا كل دقيقة تو كُفْ عليه وتقول والله يا فلان ألا معدل لكم جريمة ومتخزن هون.."، والتي تعني أن "أحد الأطفال دائماً الجري في الأزقة ولا يدخل دار أهله إلا لما وحين وقع الحجر الصحي أصبح لا يبارح الدار فكانت جدته تقول لهم أن وجوده بالبيت دليل على أنه قام بفعل مشين، ومن الطبيعي فهي لا تدري أن الحجر فرض عليه بسبب كورونا".

⁶ ميشال دينكن، (1976)، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد حسن، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص48.

⁷ بوكفوسة محمود، "النكتة الشعبية ودلالاتها في تفعيل القيم الاجتماعية - نكت شعبية مختارة من الغرب الجزائري"، في: مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، العدد 7 (ديسمبر 2018)، ص155.



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

تبين هذه النكتة في متنها قدرة الجدات على ملاحظة التغيرات التي تحدث في سلوك الأفراد رغم تقدمها في السن، وعندما نتحدث عن الجدات في المجتمع الصحراوي، "يمكن أن ندرج بعض المفاهيم، التي تستحضر عبر نوستالوجيا كبار السن وتستخدم إلى يومنا هذا، للحديث عن قيم الأُمس، التي تشكل معجم قيم السجل التقليدي"⁸، الذي يطبعه الاحترام والعدالة والرحمة والطاعة.

إن الجدة كمكون أساسي في الأسرة بالمناطق الجنوبية ودورها في تنقيح القيم وإنتاجها، جعلها قريبة من جميع أفراد الأسرة ويرجع ذلك لحالتها الضعيفة أو الهشة التي تجعلها دائما في البيت تراقب تصرفات وسلوكيات الأسرة، وتبين النكتة أثر الحجر الصحي في مكوث بعض الأفراد (الأولاد مثلا) بالبيت وملازمتهم له، وهذا بالنسبة للجدة أمر غريب جعلها تؤول على أن هذا السلوك ينم عن فعل شنيع لا يمكن السكوت عنه، "هؤلاء الذين يتميزون بالحركية والشغب خاصة الأعمار الصغيرة، مرحلة الروض الذي حرموا منه، بل حتى مرحلة الابتدائي في السنة الأولى والثانية من هذا التعليم"⁹، ولكن الحدث الكبير هو الحجر الصحي الذي أدى إلى تغيرات اجتماعية كان من الصعب تحقيقها في مدة زمنية قصيرة.

يتبين مما سبق، أن النكتة الشعبية بالمناطق الجنوبية تركز على شخصيات وأفراد لها مكانة في ثقافة الصحراء، ويحظى كبار السن بموقع متميز في ثقافة البيضان، و"بما يمتلكه من حكمة وشجاعة وفطنة وبصيرة"¹⁰، وظلت هذه الصورة تتغير بفعل مرحلة الإستقرار التي فرضت على أهل الصحراء أنماط مختلفة من التغير في التفكير والسلوك، كما أدت إلى إصاق صورة الكبار في السن بذاكرة مجال الصحراء والإرتباط بالعادات والتقاليد، وهذا ما يشكل الهوية الثقافية للمجتمع، ويمثل كبار السن تلك الذاكرة الشفوية التي تدخل في نطاق التراث الشعبي الذي يعمق "شعور الإنتماء وتثبت أصالة الشعب"¹¹، أو الكنوز الإنسانية الحية.

يجسد هذا الأمر أيضا مقام المرأة في التراث الثقافي للمناطق الجنوبية وذلك لأنها "صارت فاعلا مؤثرا في المجتمع، فبرزت نسوة كثر وقفن في مجابهة الرجل في مختلف مجالات الحياة، في السياسة والفكر، الفن والأدب"¹²، وقدرتها على التأثير في أفراد الأسرة من خلال قربها الكبير من جميع مكوناتها ومكانتها في المجتمع وبالتحديد تأثيرها على الأبناء، وذلك بحكم مكوث المرأة في البيت لمدة طويلة وبالأخص الجدة، كما تجسد بالمخيال الشعبي تلك الشخصية التي تعكس المفارقة بين الواقع الاجتماعي والموروث الثقافي في المناطق الجنوبية، فرغم سطحية تحليلها للواقع المعيشي وفهمها غير العميق للأمور الطارئة بفعل شخصيتها المرتبطة بالموروث الثقافي الحساني التقليدي،

⁸ بورقية رحمة، "القيم والتغير الاجتماعي بالمغرب"، ترجمة: محمد الإدريسي، في: مؤمنون بلا حدود للدراسات الأبحاث، 03 أكتوبر 2018، ص5.

⁹ شراك أحمد، كورونا والخطاب: مقدمات ويوميات، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجية التواصل والنشر، الطبعة الأولى، (2020)، ص75.

¹⁰ شريار حمادي، الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمنطقة الساقية الحمراء جنوب المغرب - مقدمات سوسولوجية من أجل الفهم والتأويل- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص. علم الاجتماع، تحت إشراف: أحمد شراك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز -فاس، موسم 2020/2019، ص196.

¹¹ منعم حداد، (1986، "استراتيجيات)، التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، مركز إحياء التراث العربي، ص.

¹² سماحي هاجر، "صورة المرأة في كتابات الرجل سيدة المقام، ذاكرة الماء، ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج نموذجا"، في: مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، ألمانيا -برلين، العدد: 10 (نوفمبر 2018)، ص398.



الدلالة الاجتماعية "لنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

إلا أن تفسيرها للأحداث لا يخلو من مسحة وأسلوب فكاهي يستمتع بها المجتمع، حيث تنقل هواجس وانشغالات المجتمع بطريقة تعمق التأثير النفسي للثقافة الحسانية.

ج- دلالات النكت الشعبية الجغرافية: مع التدابير الإحترازية التي تقوم بها السلطات العمومية، وبالتحديد فصل الجهات والعمالات عن بعضها البعض، أصبح التنقل بين المناطق الموبوءة والتي لم تسجل حالات وبائية صعب، بفعل قيام السلطات بفرض مجموعة من الإجراءات على الأفراد للحصول على الموافقة للإنتقال إلى المناطق غير الموبوءة، ونحن نعرف أن الجهات الجنوبية لم تعرف تسجيل حالات وبائية كبيرة، هذا جعل ساكنتها يساهمون في التدابير والإجراءات من خلال الحرص على تبليغ عن كل المتسللين للجهة أو المدينة بطريقة غير قانونية، لتصبح هذه المناطق حسب النكتة "مع كورونا أصبحت الحكونية والدشيرة... مثل اسطنبول وباريس أما فم الواد... كأنه جزر المالديف...!".

يتبين أن "كل تنكيت -ولو كان بسيطاً- يعتبر لغة، وككل لغة فإنها تبطن إفصاحاً عن موقف إزاء ظاهرة أو واقعة اجتماعية"¹³، وهذه النكتة تمثل أقصى السخرية على المكان، فهي تحاول مقارنة مدن عالمية ذات الإستقطاب السياحي العالمي مع جماعات قروية بالعيون، فإذا كانت أسطنبول وباريس مدن يزورها الملايين من السياح من جميع أنحاء العالم فهي اليوم تكاد تكون مهجورة، فقد "غير الفيروس المعولم الخطاب حول جغرافية العالم، لا شمال ولا جنوب، بل مناطق موبوءة وأخرى غير موبوءة، دول متخاذلة في سياستها الحيوية ضد الفيروس والأخرى حازمة وحاسمة في خوض فعل مجابهته، مثلما انزاح بالمؤسسات السياسية والدينية إلى منطقة الهامش وجعل المؤسسات العلمية الطبية في المركز"¹⁴.

فضلاً عن ذلك، فإن الشخصية الشعبية بالمناطق الجنوبية أحست بضرورة الحفاظ على هذا المكتسب، فإذا كانت الجغرافيا وتركز الإستثمارات الوطنية والأجنبية في مناطق الشمال، فإن وباء كورونا قد فرض على الناس تغيير وجهات التنقل والبحث عن المناطق الآمنة والغير موبوءة وهي التي في المخيال الثقافي الجمعي زمن كورونا أصبحت تتساوى مع المناطق المعروفة سياحياً، وعلى سبيل المثال فإن فم الواد وهي جماعة قروية تابعة للعمالة العيون، والتي لم تكن تستقطب سوى العديد من المصطافين والذين هم في الغالب من مدينة العيون، كما تعرف بطبيعة مناخها الذي يتميز بهبوب رياح قوية مصحوبة بالرمال وصعوبة شواطئها المحجرة، أمست في ظروف وباء كورونا تقارن مع جزر المالديف.

ندرك مما سبق، أن جائحة كورونا رغم ما خلفته من مآسي وويلات في جميع مناحي الحياة، إلا إنها ساهمت في إنتشار الوعي الجماعي بمجموعة من الإمكانيات، التي تتوفر عليها هذه المناطق والتي لا يمكن إدراكها إلا في مثل ظروف هذا الوباء، حيث تعرف هذه المناطق بمناخها الصحراوي الذي يتميز بقلّة التساقطات وإرتفاع درجة الحرارة في الصيف، لكن في المقابل فإن هذه المناطق تعيش في مجال متسع ومفتوح، رغم ارتفاع في عدد ساكنة هذه المناطق إلا أن شروط السكن جيدة، فالأسرة الواحدة تتوفر على سكن يبلغ متوسط مساحته بين 60 متر

¹³ شقير محمد، (2009)، السخرية والسلطة: من المؤسسة إلى التجريم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 226.

¹⁴ حوار مع الباحث نور الدين الزاهي بالموقع الرسمي لجريدة الإتحاد الإشتراكي بتاريخ: 2020/04/08، وقد حاوره مصطفى الإدريسي.



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

مربع إلى 200 متر مربع، وهذا يحقق التباعد الجسدي ويساهم في التقليل من إنتشار العدوى عكس المدن الأخرى كالدار البيضاء وطنجة ومراكش التي تتميز بضيق مساحات السكنيات.

إن النكتة الشعبية حاولت معالجة موضوع قديم، لكن مع هذه الجائحة صار من المواضيع التي تستدعي اهتمام خاص عند الرجال بالتحديد، وهو موضوع الزواج الذي ظهرت العديد من الفيديوهات في المناطق الجنوبية وهي تبين قيمة الزواج في هذه الفترة، ودوره في بناء أسرة يحتاجها الفرد في هذه الظروف لتحقيق الراحة النفسية والاجتماعية، ففي ظل العزوف الكبير عن الزواج في مرحلة ما قبل كورونا، بات من الضروري البحث عن زوجة لإكمال الاستقرار النفسي والاجتماعي زمن كورونا، فقد تبين من خلال هذه الجائحة أن إشباع الرغبات الغريزية خارج مؤسسة الزواج غير مضمون ويتطلب ظروف محددة كشفت عنها طبيعة الوفاء.

ت- دلالات النكتة الشعبية القيمية: لم نتوقف عند جرد الموافقات الاجتماعية التي صاحبت جائحة كورونا إنما ابراز قيمة بعض التدابير الوقائية كإرتداء الكمامة، التي صارت ضرورية للخروج من أجل قضاء حاجيات الأفراد خارج البيت، وقد أضحت هذه الكمامة وسيلة لتحقيق أهداف أخرى "أعرفت قيمة الكمامة ألا اليوم تخطيت من أحدا واحد يسألني شي من الدين ولا أعرفني"، والتي تعني أن "أحد الأشخاص لم يدرك قيمة الكمامة إلا اليوم حينما مر بجانب أحد الأشخاص مدين له بمال ولم يتعرف عليه بسبب الكمامة"، وتكشف النكتة كيف أن توظيف وسيلة للحماية من انتقال الوفاء والحد من انتشاره بين أفراد المجتمع صار وسيلة مناسبة للتخفي من الناس الذين لا تريد أن يعرفوك، وهنا يظهر أن الجائحة أدت إلى توقف مجموعة من الناس عن العمل، وبات الوفاء بالدين أمراً مستحيلاً، وقد جاء فرض الكمامة في ظرف مناسب للتخفي عن الدائنين.

استمر التفاعل مع فرض الكمامة بهذه النكتة التي تبرز فضائل إرتداء الكمامة، "ما كان غير النميمة إلبن صلط عليهم مولانا الكمامة وميترو ديال التيساع"، والتي تعني أن "النميمة التي كانت مستشرية في المجتمع حدت منها كورونا بفعل التباعد الاجتماعي"، وتعتبر ظاهرة النميمة من الظواهر الاجتماعية التي تظهر الصورة السيئة للمجتمع، وتعكس الحالة النفسية والاجتماعية التي وصل إليها الناس، فظاهرة النميمة لا تخص فئة معينة بل تعم وتنتشر في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية وتهتم مختلف الفئات العمرية بما فيها الأشخاص الذين يشتغلون في مناصب عليا ويتمتعون بمكانة وتقدير واحترام لدى المجتمع، وتبين صورة هذه النكتة القلق وال فشل في تكوين علاقات اجتماعية مستقرة زمن كورونا التي جعلت بفعل الكمامة الكلام مع الناس صعبا وغير مريح.

يفهم من مما سبق، أن النكتة بالمناطق الجنوبية "يكمن تحديد إطارها الثقافي والزماني والمكاني، وذلك بإرجاعها إلى أصولها الإبداعية الأولى، فنكت القدماء تختلف عن نكت المحدثين، ونكت أهل الجنوب تختلف عن نكت أهل الشمال، إنها عملية تبادل مع وسط اجتماعي معين من علاقات المجموعة من الأدوار والمراكز المرتبطة والذين يشتركون في القيم ومعتقدات معينة، بحيث يستطيعون تمييز أنفسهم عن الآخرين عن طريق عملية التنكيث"¹⁵، ونقصد هنا أن نكت فترة البداوة (مرحلة الترحال)، تختلف تماما مع مرحلة الإستقرار، وبسبب "التغيرات التي حدثت في الأسرة نتيجة تغلغل العالم الرقمي وتأثرت بها كل البنى العلائقية الأسرية جعلت التفاعل بين الأخوة

¹⁵ بوكفوسة محمود "النكتة الشعبية ودلالاتها في تفعيل القيم الاجتماعية -نكت شعبية مختارة من الغرب الجزائري"، مرجع سابق، ص 160.



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

افتراضياً؛ في كثير من المواقف الاجتماعية العامة والخاصة، داخل نطاق البيت أو خارجه؛ يتم استخدام وسائل التواصل الاجتماعي¹⁶.

تفاعل المجتمع مع التحركات الدولية لإيجاد دواء أو لقاح لوباء كورونا، وتجسد هذا التفاعل بوضوح مع المبادرات التي تقوم بها المختبرات الطبية في القضاء على الجائحة، وذلك من خلال فيديو يبين الدواء الفعال لداء كورونا، غير أن أهل الصحراء تفاعلوا مع الأمر بأدوات ثقافية وتمثل في نوع من استعمال نوع "البخور" يسمى "تيدغت"¹⁷ واستعمال "لثام" من نوع "انيلة"¹⁸ بالإضافة إلى بعض مكونات "أناي" (الشاي)، وتتميز جلسة أناي بأنها جلسة في بعض جوانبها تتميز ببعض الرومانسية والهدوء والسكينة، ويعرف المجتمع الصحراوي بهذه الجلسات التي يسود بها الجو الشعري خاصة بالليل، وهذا يتناسب مع إجراءات الحجر الصحي الذي يوصي بالجلوس بالمنازل وعدم الخروج إلا للضرورة.

تتصف جلسات الشاي الصحراوي بساعاته الطوال التي يستغرق فيها إعداد وطبخة مدة طويلة، ويرجع ذلك إلى أحكامه وشروط وقواعد يمكن إجمالها في ثلاثة "جيئات" (من حرف الجيم):

✓ الجماعة: فلا يمكن إعداد جلسة الشاي بدون عدد كبير من الأفراد، وفي جائحة كورونا لا بد من حضور جميع أفراد الأسرة.

✓ الجر: وهذا الشرط أساسي، حيث الشخص المتكلف بإعداد الشاي لا بد له من إطالة طبخه حتى يتح لجماعة النقاش وتداول أخبار الجائحة، وبالإضافة أن هذه الفترة جميع أفراد العائلة في البيت.

✓ الجمر: إي الفحم وهي وسيلة إعداد الشاي، ويستعمل البخور الذي يشعر "جماعة أناي" بدفئ ورومانسية المكان.

ما يميز النكتة الشعبية أنها تواكب تطورات الجائحة ومسايرة ظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع، فهي «مزيج من الجد واللعب، ونفاذ البصيرة واللعبية والإنجاز الثقافي والتسلية»،¹⁹ ويظهر هذا بوضوح من خلال تتبع مراحل الوباء، حيث تجد في الكنت بالمناطق الجنوبية إدراك بطبيعة الجائحة وخطورتها وتأثيرها على المجتمع، فما يميزها عن باقي الروايات الشعبية أنها بسيطة في كلمات قليلة ولكن معناها كبير وعميق، ومواكبة تقدم الجائحة بدقة ينم عن عمق في الإدراك والإطلاع بالأمور الصحية المتعلقة بوباء كورونا.

ث- النكتة الشعبية ورفع الحجر الصحي: يثير انتباه المتتبع لجائحة كورونا التواريخ التي تحددها

الحكومة لرفع الحجر الصحي، ومع الأرقام المتباينة بين الجهات في عدد الإصابات، حيث أن بعض

الجهات لم تعرف إصابات منذ مدة طويلة، وهنا كان لا بد للجهات المركزية في تقييمها للوضع

¹⁶ عرعور مليكة محمد - الساهل، لخضر بن، "عولمة العلاقات الأسرية وأثرها على الشخصية الاجتماعية"، في: مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، العدد 7 (ديسمبر 2018)، ص 103.

¹⁷ نوع من أنواع البخور الطبية الرائحة ويستورد غالبا من فرنسا ولكن الموطن الرسمي له هو اليونان.

¹⁸ نوع من اللثام يأتي من موريتانيا لونه أزرق داكن يلبسه الرجال في المناسبات ويحافظ على البشرة، كما تستعمل المرأة نوعا آخر من اللثام أو تستعمل الملحفة التي هي عبارة عن ثوب يغطي الجسم بكامله.

¹⁹ عبد النبي ذاكر "استراتيجية الفكاهة في الرحلة العربية" في: مجلة دراسات، الطبعة: 10، 2000، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، ص 15.



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

البوئانية بالمغرب، تعطي لهذه المعطيات أهمية كبيرة في إعلانها عن موقفها في التمديد أو رفع الحجر الصحي، وكانت النتيجة "ملخص البلاغ/ المجموعة أ: النجاح / المجموعة ب: استدرابية"، هذه النكتة تلخص بلاغ لوزير الداخلية ووزير الصحة بتاريخ: 10 يونيو 2020، الذي يقسم جهات المملكة إلى منطقتين (المنطقة 1 والمنطقة 2)، وتضمن البلاغ رفع جزئي لإجراءات الحجر الصحي بالمنطقة 1 ومع الاحتفاظ بالحجر الصحي في المنطقة 2، والنكتة تبين نتيجة مدى التزام كل منطقة بالتدابير الاحترازية التي جعلتها تنجح في إنتظار الدورة الإستدرابية للمنطقة 2.

تجد أن بعض هذه النكت تصف الحالة النفسية التي يعيشها الأفراد بدقة، "ما يجعلها تفعل قيما اجتماعية ذات دلالات في نفسية الفرد وتبين مدى وعيه بمجمعه، كونها كاشفة كنه الشعب وأفكاره وعاداته وما يخامره من تطلعات وآمال، وبهذا التوصيف نعددها من أقدر أشكال التعبير الشعبي استيعابا على ما يسود الحياة الاجتماعية من تناقض، وأوسعها تمثيلا لطبيعة الصراع الاجتماعي لما تحمله من استراتيجية تنفيذية ترفهية فعالة تتوخى من خلالها نقد السلوك وتعريته"²⁰.

لكن مع رفع التدريجي للحجر الصحي، صارت التدابير الاحترازية التي كلفت الدولة والاقتصاد والمجتمع الكثير من الخسائر، والتي لا ينكرها إي مواطن وهذا يكشف بشكل مرئي أن الرجوع إلى الحجر الصحي سيؤدي إلى انهيار العديد من المجالات، وبالتحديد إذا كان سلوك المواطن لا يساعد في الحد من هذا الوباء، وهنا كان لابد لنا من وضع سؤال مهم، هل لدينا وعي جمعي تكون فيه الدولة والمواطن على قدم المساواة في إي خطوة مصيرية للبلاد؟ إن المتبع لظاهرة النكت الشعبية في الصحراء جنوب المغرب وبالتحديد في الجهات الجنوبية الثلاث، منذ بداية ظهور الجائحة بالمغرب يستكشف عمق تأثير هذه الظاهرة والعلل التي يعاني منها المجتمع بالصحراء جنوب المغرب، وتبين ضرورة الاهتمام بالإبعاد الثقافية والانثروبولوجية للمنطقة، وتكشف عن قدرة الفرد على تفسير الظواهر الاجتماعية بطريقة فكاهية، في ظل زمن يتسم بالضغط النفسي والاجتماعي.

²⁰ بوكفوسة محمود، "النكتة الشعبية ودلالاتها في تفعيل القيم الاجتماعية -نكت شعبية مختارة من الغرب الجزائري"، مرجع سابق، ص 154.



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

لائحة المراجع

- ¹ Annonce nouvelle, sous-titre: Éloignement Physique, social-distancing-fra.pdf 02/06/2020.
1. بحري صابر، "إدارة أزمة COVID-19 من خلال تعزيز الصحة النفسية في ظل الحجر الصحي المنزلي"، في: مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 13 (مارس 2020)، ألمانيا- برلين.
 2. بورقية رحمة، "القيم والتغير الاجتماعي بالمغرب"، ترجمة: محمد الإدريسي، في: مؤمنون بلا حدود للدراسات الأبحاث، 03 أكتوبر 2018.
 3. بوكفوسة محمود "النكتة الشعبية ودلالاتها في تفعيل القيم الاجتماعية -نكت شعبية مختارة من الغرب الجزائري"، مرجع سابق.
 4. بوكفوسة محمود، "النكتة الشعبية ودلالاتها في تفعيل القيم الاجتماعية -نكت شعبية مختارة من الغرب الجزائري"، في: مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، العدد 7 (ديسمبر 2018).
 5. حوار مع الباحث نور الدين الزاهي بالموقع الرسمي لجريدة الإتحاد الاشتراكي بتاريخ: 2020/04/08، وقد حاوره مصطفى الإدريسي.
 6. سماحي هاجر، "صورة المرأة في كتابة الرجل سيدة المقام، ذاكرة الماء، ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج نموذجاً"، في: مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، ألمانيا - برلين، العدد: 10 (نوفمبر 2018).
 7. شراك أحمد، كورونا والخطاب: مقدمات ويوميات، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية واستراتيجية التواصل والنشر، الطبعة الأولى، (2020).
 8. شربار حمادي، الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمنطقة الساقية الحمراء جنوب المغرب - مقدمات سوسيوولوجية من أجل الفهم والتأويل- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص. علم الاجتماع، تحت إشراف: أحمد شراك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز - فاس، موسم 2020/2019.
 9. شقير محمد، (2009)، السخرية والسلطة: من المأسسة إلى التجريم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
 10. عبد النبي ذاك "استراتيجية الفكاهة في الرحلة العربية" في: مجلة دراسات، الطبعة: 10، 2000، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير.
 11. عرعور مليكة محمد - الساهل، لخضر بن، "عولمة العلاقات الأسرية وأثرها على الشخصية الاجتماعية"، في: مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، العدد 7 (ديسمبر 2018).
 12. مقال لقناة الجزيرة تحت عنوان: التباعد الاجتماعي... ماذا تعرف عن مصطلح الذي فرضه كورونا؟ بتاريخ: 2020/05/31 على الساعة: 13:53،
[.https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/28/](https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/28/)



الدلالة الاجتماعية "للنكتة الشعبية" زمن "جائحة كورونا" بمناطق الصحراء جنوب المغرب

13. مقال لقناة العربية تحت عنوان: التباعد الاجتماعي مع كورونا، بتاريخ: 2020/05/31 على الساعة 15:36، html.ar/saudi-today/views/2020/0317
14. منعم حداد، (1986، "استراتيجيات)، التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، مركز إحياء التراث العربي.
15. ميشال دينكن، (1976)، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد حسن، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
16. نوع من اللثام يأتي من موريتانيا لونه أزرق داكن يلبسه الرجال في المناسبات ويحافظ على البشرة، كما تستعمل المرأة نوعا آخر من اللثام أو تستعمل الملحفة التي هي عبارة عن ثوب يغطي الجسم بكامله.
17. نوع من أنواع البخور الطيبة الرائحة ويستورد غالبا من فرنسا ولكن الموطن الرسمي له هو اليونان.